ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٢٠٢٥/٦/٢٧

كان الحديث في الخطبة الماضية جاريا عن وصول النبي ﷺ قرب مكة بهدوء ونزوله هناك. فأمر النبي ﷺ بإشعال عشرة آلاف نار. ولما رآها أبو سفيان وأصحابه فزعوا بشدة. لما كان العباس وأبو سفيان صديقين قديمين، فقد أصرّ العباس على أن يحمل أبا سفيان على دابته ليذهبا إلى الرسول ﷺ.

وعندما وصل أبو سفيان إلى مجلس رسول الله ﷺ، كان قد أصابه الذهول والحيرة بسبب الرهبة والخوف. فلما رأى رسول الله ﷺ حاله هذه، قال للعباس: "خذ أبا سفيان معك واجعله يبيت عندك، وأحضرْه إليّ في الصباح". فبات أبو سفيان تلك الليلة مع العباس. ولما أحضره إلى رسول الله ﷺ في الصباح، كان وقت صلاة الفجر. فرأى أبو سفيان آلافاً مؤلفة من المسلمين يقفون خلف رسول الله ﷺ، فإذا ركع ركعوا جميعاً، وإذا سجد سجدوا جميعاً. فسأل أبو سفيان العباس ماذا يفعلون الآن؟ قال العباس: إنهم يصلّون الصلاة، ولو أمرهم محمد رسول الله ﷺ أن يتركوا الطعام والشراب لتركوا.

قال أبو سفيان: لقد رأيت بلاط كسرى وبلاط قيصر أيضاً، ولكن لم أر أقوامهم مخلصين لهم بقدر إخلاص جماعة محمد رسول الله ﷺ له. ولما انتهت الصلاة، ذهب العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ. قال ﷺ: "يا أبا سفيان، ألم يحن الوقت بعد لتتضح لك الحقيقة أنه لا إله إلا الله؟". قال أبو سفيان: فداك أبي وأمي، أنت أحلم الناس وأشرفهم وأوصلهم للرحم. لقد فهمت الآن أنه لو كان هناك إله غير الله لساعدنا شيئاً ما. بعد ذلك قال رسول الله ﷺ: "يا أبا سفيان، ألم يحن الوقت بعد لتفهم أني رسول الله؟". قال أبو سفيان مرة أخرى: فداك أبي وأمي، ما زالت في قلبي بعض الشكوك بهذا الشأن. ولكن رغم تردد أبي سفيان، أسلم رفيقاه اللذان جاءا معه من مكة لاستطلاع أخبار جيش المسلمين، وكان أحدهما حكيم بن حزام. ثم أسلم أبو سفيان أيضاً، ولكن لعل قلبه انشرح تماماً بعد فتح مكة.

وعند عودة أبي سفيان إلى مكة قال رسول الله ﷺ للعباس: "احبسه بمضيق الوادي". فحبسه العباس في الوادي إلى أن أصبح الصباح.

فَجَعَلَتْ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ.

ولما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله سعد، قال رسول الله ﷺ "لقد أخطأ سعد، بل اليوم يومُ المرحمة، اليوم يومُ يعز الله فيه قريشًا والكعبةَ. ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد يأمره أن يسلّم رايته لابنه قيس، وهكذا قام رسول الله ﷺ بجبر خواطر أهل مكة، كما حمى مشاعر الأنصار من أي صدمة.

وعند دخول مكة أمر النبي ﷺ الزبيرَ رضي الله عنه أن يدخل مكة مِن أعلاها مِن طرف كَداء ويغرز رايته في الحَجون، ولا يترك ذلك المكان حتى يأتيه ﷺ. وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه على ميمنة الجيش، وأمره النبي ﷺ أن يدخل من أسفل مكة ، وأن يغرز الراية قريبا من البيوت. وجعل النبي ﷺ على الرجّالة أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه أن يكفّوا أيديهم عن قتال أحد إلا مَن قاتلهم.

وورد في ابن إسحاق أن صَفوان وعِكرمة وسُهيل دعوا الناس لقتال رسول الله ﷺ، وجمعوهم بالخَنْدَمة، فاشتبكوا مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وأصحابه. حين جاء النبي ﷺ إلى الطريق الجبلي حيث هناك دخل مكة يوم فتحها، ورأى بصيص السيوف قال: "ألم أمنعكم عن القتال؟" فقيل له إن العدو هاجم خالدا وهو دافع عنه، فقال ﷺ: "إن حكم الله خير"، أي أن الله ﷻ يريد أن يثبت لأهل مكة أنهم لا يستطيعون منع المسلمين من دخول مكة بالقوة، فهو حكم الله ولا مانع له.

وجاء عن إعلان الأمان لأهل مكة أن النبي ﷺ أعطى أبا سفيان وحكيم بن حزام الأمان وقال اذهبا وأعلنا في مكة أن من ألقى السلاح فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن، ومن دخل فناء الكعبة فهو آمن، ومن دخل بيت أبا سفيان فهو آمن، ومن دخل بيت حكيم بن حزام فهو آمن.

وحين قال رسول الله ذلك، فلا بد أن يكون قد خطر ببال بلال أنه ﷺ قد عفا عن إخوته وأقاربه، وقد أحسن الصنعَ، ولكن لم يُنتقَم لي. أما النبي ﷺ فرأى أن هناك شخصا واحدا فقط يمكن أن يتأذى بعفوه وهو بلال، لأن الذين عُفي عنهم ليسوا إخوته، مع أن الإيذاء الذي تكبّده هو لم يواجهه غيرُه. فقال رسول الله ﷺ بأني سأنتقم له. فقال ﷺ: "انصبوا راية لبلال وقولوا لزعماء مكة، إذا كنتم تريدون أن تنقذوا حياتكم وحياة أولادكم فأوُوا إلى راية بلال".

كان هذا الانتقام أفضل وأعلى شأنا من انتقام يوسف من إخوته؛ لأنه عفا عن إخوته من أجل أبيه، ولكن النبي ﷺ عفا عن أعمامه وإخوته جبرًا لخاطر خادمه الذي كان يُضرب بالنعال.

لقد قال ابن هشام: كان شِعَارُ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَ فَتْحِ مَكّةَ يَا بَنِي عَبْدِ الرّحْمَنِ وَشِعَارُ الْخَزْرَجِ : يَا بَنِي عَبْدِ اللّهِ وَشِعَارُ الْأَوْسِ : يَا بَنِي عُبَيْدِ اللّهِ.

بعد ذلك ذكر حضرته المرحومة أمينة شهناز، زوجة السيد إنعام الله من لاهور، فقد توفيت في الآونة الأخيرة عن عمر يناهز سبعة وخمسين عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. دخلت الأحمدية عائلتها عن طريق والدها الكريم السيد محمد دين الذي ذهب إلى قاديان عام ١٩٣٤م يوم كان سنه خمس عشرة سنة ليبايع على يد سيدنا الخليفة الثاني. كانت المرحومة بفضل الله تعالى منخرطة في نظام الوصية. تركت خلفها زوجها وابنا واحدا وأربع بنات. ابنها وجيه الله المحترم يخدم الجماعة في السنغال بصفته داعية إسلاميا أحمديا، ولكونه في ميدان العمل لم يستطع حضور جنازة والدته ومراسم دفنها.

كانت امرأة صالحة جدا. فكانت محافظة على الصلاة والصوم وتقرأ القرآن الكريم بانتظام. كانت تهتم بتربية أولادها أيضا جيدا. كانت تحب الخلافة الأحمدية حباً جماً، وكلما واجهتُ وضعا صعبا أو مُرضيا كتبت رسالة إلى خليفة الوقت. كانت تكرم الضيوف كثيرا وتخدمهم أكثر من سعتها. كانت تعامل الجيران غير الأحمديين أيضا بلطف رغم أن بعضهم كانوا يعارضون، لكنها كانت تؤدي حق الجيران دائماً.

كانت تشارك بنشاط في مشاريع الجماعة. لم تكن تُعيد أحداً خالي اليدين مهما كانت الظروف. كانت تصوم كل يوم خميس في الصيف. عندما كان يُقام أي برنامج في منزلها، كانت تقبله بصدر رحب وتكرم الضيوف.

غفر الله لها ورحمها. ابنها الوحيد داعية، ولم يستطع حضور الجنازة لكونه في ميدان العمل كما ذكرت من قبل. ألهمه الله أيضا الصبر والسلوان وجعل جميع أولادها ورثة لدعواتها.

***